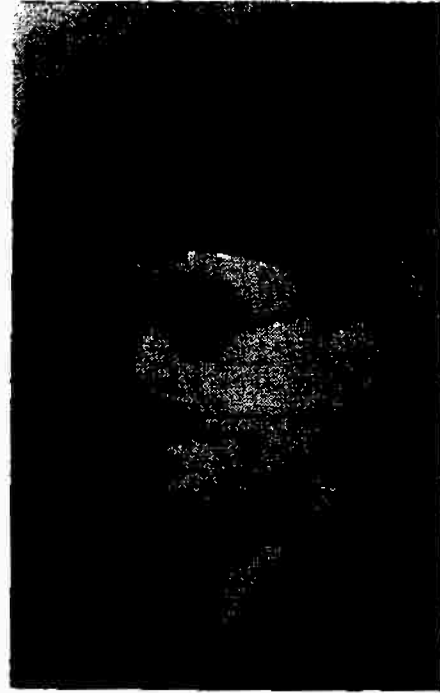


بعض الأثر ولكنها لا تستطيع أن تحول طباعتها، وإلا لو استطاعت لما وجد بين معتق العقيدة الواحدة الطاهر البرى، والمجرم الأثيم والسمح الكريم والوغد اللثيم والذكي الفهيم وذو الفهم البهيم والرحيم والقاسى الزيم . فالعقيدة فيما هو مشاهد في الحياة لا تحمل النفوس على أن تتخذ شكلاً واحداً بل تبقى النفوس على عمادها ومساوئها، وكما تؤثر العقيدة في النفس بعض التأثير تؤثر النفس في عقيدتها . ومهما اشتركت النفوس المتباينة في شعار العقيدة فهو اشتراك عام لا يمنع اختلاف النفوس في تفصيل جانب على جانب ومظهر على مظهر من مظاهر الدين ، فشكل العقيدة في النفس الغليظة القاسية النبية غير شكلها في النفس الرحيمة الذكية ، وتتخذ العقيدة الواحدة أيضاً أشكالاً مختلفة في الأمم والأقاليم والأزمنة المختلفة وهي عقيدة واحدة ذات شعار ومبادئ لا تتغير . والناس قلما يلتفتون إلى فروق روح العقيدة في النفوس المتباينة ، وقلما يحسبون حساباً لهذه الفروق بالرغم من أنها قد تحمل الرجلين وهما على عقيدة واحدة وكأنهما على عقيدتين بينهما من البعد مثل ما بين السماء والأرض ، وإغفال هذه الفروق يؤدي إلى الاهتمام بمظاهر الدين أكثر من الاهتمام بروحه ، والدين معناه في روحه الزكية ، فإن رذائل النفوس قد تستولى على مبادئ الدين وتقاليد عرقه وأخلاقه فلا تأخذ منها غير المظاهر بل إنها قد تترك نفسها وتهون أمر تركها روح الدين وحقيقته وأخلاقه بالاندفاع في نصرة مظاهره والانفعال في نصرتها وقد يكون انفعالاً لا يخفى العقل الباطن أنه بسبب أن النفس في غيظ شديد من أن روح الدين تخالف أثرها وفائدتها الدنيوية وأنها لا تستطيع أن توفق بين ورع روح الدين وعفته وبين مطالب الحياة فتضحي بورع روح الدين كي تنال الدنيا أو بعض مطالبها حسب استطاعتها ثم تظهر الغيرة على مظاهر الدين الذي خنت بروحه وورعه وتنتفر تلك التضحية بتلك الغيرة، والنفس في احتياها هذا ربما كانت معذورة إلى حد ما إذا لم تنال وتشتط وتقسو وتلوم وتؤذى الناس كي تعذر نفسها لدى نفسها التي خنت بورع الدين وكفافه وعفته وهي تحسب أنها إذا لم تستطع صيانة روح الدين والتخليق بورعه كي تنال رضا الله ونعيم الآخرة فهي ربما تنال رضوانه ورحمته ونعيمه بهذا الاحتيال فتجمع إلى نعيم الأخرى الانطلاق في طلب الدنيا وتكفر عن نبذها ورع الدين

صِيَانَةُ الْعَقِيدَةِ بِزَكَاةِ النَّفْسِ

لِلْأَمْتِ أَذْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ تُكْرِمُ



تقرأ في كتب السير عن أناس من السلف الصالح بلغت نفوسهم من الصفاء والتغلب على احتيال الأهواء مبتغياً كان للإسلام حجة أعظم من ألف حجة ودليل من الحجج والأدلة النظرية، وقد بهرت سيرتهم وقوتهم من عرفها من غير

المسلمين فأجلوا ذلك السلف الصالح من أجلها وأجلوا المسلمين من أجلهم ولو أنهم كانوا لا يؤمنون به وامتدحوه كما يعتدح الأب إذا حسنت سجايا ابنه التي تبها فيه . ولكن لا شك أن روح العقيدة الواحدة تختلف في نفوس معتقها باختلاف تلك النفوس ؛ فإن من الناس القاسى والرحيم والكريم واللثيم والشهم والوغد والمقبل على لذات الدنيا والزاهد فيها والوفى والقادر والمالم والجاهل والذكي والنبي ، وقد يعتنق العقيدة الواحدة أناس من كل هذه الطوائف ولكل منهم صفات تغلب على نفسه وتصبغ آراءه وأقواله وأعماله بلونها، وكأنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يعمل إلا وعليه رقيب من تلك الصفات وهي كالقيود لا يستطيع أن يخلص منها . والعقيدة في نفس معتقها كالسقاء في الإناء يتخذ شكله؛ فإذا كان الإناء مستديراً كان الماء فيه مستديراً، وإذا كان الإناء مستطيلاً كان الماء مستطيلاً . وكذلك العقيدة تتخذ شكل النفس التي تعمرها . نعم إن العقيدة تخاطب النفس والماء لا يخاطب مادة الإناء ولا يحدث به أثر؛ ولكن المشاهد المحقق أن العقيدة تؤثر في النفس

الغضب المقدس الحق، ويخلط بين الباعث السامى للنفس والباعث غير السامى، ويخلط بين صيانة روح الدين وبين التكفير عن قتل روح الدين في طلب الأهواء بالانفعال في نصرة مظاهره. ومن قرأ تاريخ الأديان في العالم وجد أن بعض القبائل المتأخرة ترى مخرجاً لغرائزها الوضيعة عن طريق الدين. وفي الأمم المتحضرة يوجد أناس يسلكون في إخراج غرائزهم التي يستحيون من إخراجها على حقيقتها مسلك تلك القبائل المتأخرة إما للجهل وإما لما يُسمى في علم النفس بالرجعية النفسية إلى صفات عضور الإنسانية الأولى وهذه الرجعية قد يصاب بها حتى المتعلمون وقد تظهر في أمور كثيرة غير أمور العقيدة.

وهذا غير ما يُخشى على قدسية الدين من رياء المرائين، وأعظم ما يدعو إلى الحسرة والأسف أن ترى رجلاً صافية نقية صادقة في غيرتها على الدين طائفة منقادة لنفس مرائية تبني حطام الدنيا، وهذه النفس الثانية أى النفس المخادعة عادة تطلب النفس الأولى، الصافية الطاهرة لأن النفس المثلثة في طلب حطام الدنيا تخلق لها لهفتها وتخلق لها غيظها وخوفها من فوات الحطام انفعالاً شديداً يحاكي به الغيرة على الدين ولما تستطيع النفس الصادقة في تدبيرها عما كاد ذلك الانفعال الدنيوي الذي تدمه الحياة بقوتها لأنه في طلب أمور الحياة. ولما تستطيع تمييزه إلا إذا كان لها نصيب من الخبرة بلم النفس وتطبيقه على أساليب النفوس ووسائلها وهي خبرة لا بد منها لصيانة روح العقيدة الحميدة السامية.

ومن الأخطاء التي يقع فيها المفكرون وغير المفكرين أن يحسبوا أن الإنسان على مستوى واحد لا يتغير من حيث روح الدين في نفسه ومن حيث فضائله، والحقيقة هي أن النفس الإنسانية في الحياة كالطائرة الهوائية التي تصادف جيوباً هوائية كثيرة مختلفة الضغط الجوي فتظل ترتفع وتنخفض فجأة، ولكن كل إنسان يريد أن يستثمر ارتفاعه لمغالطة الناس كما قد يغالطهم في انخفاضه ويمد ارتفاعاً ويوم أنه كذلك بقوة الإيماء. وهو لو قصر المغالطة على قوة الإيماء لكان الأمر ولكن أشد الضرر بروح الدين أن يتخذ المرء وسيلة للإشادة بملو قدره وإعلان انحطاط قدر عدوه أو عدو صديقه أو عدو قريبه أو من يماذيه قريبه فيصبح الدين في نظره قوة دنيوية للكسب كقوة المصاهرة أو الماسرة أو كقوة المال. عبد الرحمن شكرى

بالاقتصاص من غيرها وتجعل هذا الاقتصاص قرباناً إلى الله بدل أن يجعل قربانها النصفاء والزهد في الدنيا والعفة عما يتطلبه نيل حطام الدنيا. ولقد قلنا إننا نعذر هذه الروح وزحماً إذا لم تشتت في هذه الخطئة، نمذرها بمضالعذر لضعف النفس البشرية ولضرورات الحياة وما تقهر الحياة النفس عليه من الدنيا، ولأن النفس الورعة التقية قد تردد فيها بالرغم من ورعها هواجس وخواطر طلب الشهوات لنفسها فتحاول أن تكفر عن تلك الخواطر التي تخشاها بانفسوة على من تحسبه مطيعاتها ولأن النفس قلما تظن إلى باعها على الانفعال في نصرة مظاهر الدين دون ورعه وتقواه، بل إنها قد تحسب أن الورع هو باعها وإن كانت لا تتورع، ولما تظن النفس إلى أن بين الناس من يستطيعون الجمع بين المحبوس والقسوة والنفاء وبين الدين ونشدان المثل الأعلى بالقول لا بالخلق، وهذه الاستطاعة من مآسى الحياة وربما كانت من ضروراتها المكروهة بسبب ضعف النفوس وتقصها وأوضاع الحياة التي تعيش فيها

فينبني لمن يريد صيانة روح الدين والعقيدة الحميدة السمجة الرضية أن يحذر عند أدائه فروض الدين وفروض الحياة وأن يحاسب نفسه حساباً عسيراً عند أداء تلك الفروض أكثر من محاسبتها عند إهمالها لأن الله فرض وواجب وأطيعه لدى النفس وأحلامه عندها هو الواجب الذي يمكنها أدائه من أن تؤذى الناس وأن تتكسب بأذاهم من متاعب الحياة وإن كانت لا تظن إلى ذلك. وما أشد إلتاف متاعب الحياة لصفاء النفوس خفية

فالنفس قد تفضل أداء الواجب الذي يمكنها أدائه من أذى الناس سواء أكان الذي تؤذيه عدواً أو غريباً عنها وإن كانت تفضل أذى الأول، وأصبح فرض وواجب لدى النفس وأبغضه لديها هو الواجب الذي يتطلب أدائه ترك شيء من أطايب الدنيا المادية أو المعنوية. والنفس قلما يموزها عذر تحول به ما تجد فيه سعادة ولذة إلى فرض وواجب.

فنصرة العقيدة الرضية الزكية وصيانة روحها وقدمها من احتيال الروح الدنيوية تقتضى دراسة علم النفس وتطبيقه على النفوس وأعمالها وأساليبها ووسائلها واحتيايلها للتوفيق بين القدسية والدنيوية ولو بمخادعة نفسها فلا شيء يقتل أمل الإنسانية في صفاء الدين وقدس فضائله من احتيال أهواء النفس على النفس وتزويرها الحقائق تزويراً يخلط بين حقد النفس الشريرة وبين